المتنبي بين الثعالبي والقرطاجني

دراسة نقدية وصفية

Views of al-Tha‘ālabī and al-Qarṭājnī on Al-Mutanabbī : A Critical and Descriptive Study

Pandangan al-Tha‘ālabī dan al-Qarṭājnī tentang Al-Mutanabbī: Suatu Kajian Kritikal Dan Deskriptif

منذر ذيب كفافي*

ملخّص

المتنبي له مكانة علمية مرموقة عند الشّعراء والأدباء، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعطي هذا الشاعر حقه الذي امتاز به عند النقاد العرب القدامى، ليظهر فضله النقدي الفني على النقاد العرب، وليتبين مدى الخدمات الجليلة التي قدمها للآخرين، وقد حصر الباحث هذه الدراسة بين كتابين: الأول "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" للثعالبي، حيث وقفت عند الجديد الذي اكتشفه الثعالبي في شعر المتنبي، وعلّقت عليه، وتلمست النقد عند الثعالبي، والثاني "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" للقرطاجني حيث ذكرت الخصائص النفسية والعقلية والثقافية، والفنية التجديدية، والحكمية عند المتنبي، وبعض القضايا التي حققها المتنبي للقرطاجني، كقضية الخيال في النظم، والنزعة الشعرية، والتسويم، والتحجيل، والإبداع في الجمع بين الأسلوب الشعري القائم على التخييل والأسلوب الخطابي القائم على الإقناع.

---

* الأستاذ المشارك في الأدب القديم ونقده المشارك جامعة الملك سعود الرياض/ المملكة العربية السعودية.

الكلمات الرئيسية: المتنبي، الثعالبي، القرطاجني، الشعر، الأسلوب.

Abstract

Mutanabbī has a renowned scholarly status among poets and litterateurs. This study is to appreciate those aspects of this scholar because of which he became distinguished among the old Arab critics; to show his critical artistic excellence in which he surpassed Arab critics; and to explain his great services that he extended to others. The researcher confined this study to two works. The first book is *Yetīmatu al-Dahr fī Maḥāsin Ahal al-ʻAṣr* by al-Thaʻālabī wherein the author discovered something new in the poetry of Mutanabbī, with critical overtones. The second book is *Minhāj-ul-Bulaghā' wa Sirāj al-Udabā'* by al-Qirṭājnī wherein psychological, intellectual, cultural, innovative, artistic and philosophical characteristics of Mutanabbī are reported in addition to some of the issues which Mutanabbī had realized such as imagination in poetry, poetical tendency, semiotics, and ingenuity in combining the poetic method based on illusions and the rhetoric of persuasion.

Keywords: al-Mutanabbī, al-Thaʻālabī, al-Qirṭājinī, Style, Poetry.

Abstrak

Mutanabbi memiliki status ilmiah yang terkenal di kalangan penyair dan penulis sastera, dan kerana ini, kajian ini dibuat untuk menghargai aspek-aspek cendekiawan yang dengannya, telah membuatnya berbeza dari kalangan-kalangan pengkritik lama Arab; untuk menunjukkan kecemerlangan kesenian kritikalnya di mana beliau mengatasi pengkritik Arab; dan menerangkan perkhidmatannya yang diberi kepada orang lain. Penyelidik ini mengurungkan kajian ini kepada dua karya. Buku pertama adalah *Yetimatu al-Dahr fi Mahasin Ahal al-ʻAsr* oleh Thaʻalbi, di mana saya belajar apa yang Thaʻalbi menemui dalam puisi Mutanabbi yang baru, dan saya mengulas mengenainya dan mencari kritikan Thaalbi. Buku kedua adalah *Minhaj-ul- Bulagha wa Siraj-ul-Udaba* oleh Qirtagni, di mana psikologi, intelek, budaya, ciri-ciri seni dan falsafah inovatif Mutanabbi adalah dilaporkan sebagai tambahan kepada beberapa isu yang Mutanabbi telah merealisasikan untuk Qirtajni seperti isu-isu imaginasi puisi, kecenderungan puisi, semiotik dan kebijaksanaan dalam menggabungkan kaedah syair yang berdasarkan khayalan dan pemujukan retorik.

Kata Kunci: Mutanabbi, Thaʻalbi, Qirtajni, Puisi, Gaya.

المقدمة

كان المتنبي أشهر شعراء القرن الرابع، ولعله أشهر شاعر فيه وقد يعود ذلك لأسباب عدة منها أن شعر المتنبي يمثل ثقافته وهي ثقافة واسعة، يمتزج فيها التصوف والفلسفة والحكمة، ونرى فيه ثقافة علمية واسعة في جميع المجالات.

وفي هذا يقول شوقي ضيف (كان المتنبي مثقفاً ثقافة واسعة في كل ما عرف لعصره من معارف وآراء وقد اتجه بشعره إلى أن يستوعب أساليب هذه المعارف والآراء، وأن يمثل عناصرها المتنوعة) [1].

ويقول عبد الرحمن شعيب (كان طُلَعة يلتهم الحكمة أنّى كانت وأنّى كان مصدرها، فهو ضليع في اللغة بصير بالفلسفة خبير بالآداب) [2].

ويقول إحسان عباس أيضاً (هو شاعر يجمع بين القديم والحديث، يجيء بالجزالة والقوة والبيان على خير ما كان يجيء به القدماء، ويغوص على معاني الحياة الإنسانية غوصاً بعيداً ويضمن شعره فلسفة حياة وثقافة تنتمي إلى القرن الرابع) [3].

فكان الشاعر المجدد في كل شيء، في طريقة تناول الأغراض الشعرية، وفي التفنن في أساليب التعبير المختلفة، وفي التعامل مع الأوزان والقوافي بقوالب موسيقية جديدة، وفي أسلوب الحكمة الهادفة شكلاً ومضموناً.

---

[1] شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**،(دار المعارف، القاهرة، ط10، 1978) 311.

[2] محمد عبد الرحمن شعيب: **المتنبي بين ناقديه (في القديم والحديث)**، (دار المعارف، القاهرة، 1964)، 297.

[3] إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، (دار الثقافة، بيروت، ط2، 1978)، 252.

لذلك فالدراسات التي قامت حول المتنبي تعد قاصرة لأنها لم توف هذا الشاعر حقه، فقد تفرّق فيه الدارسون فرقاً متباينة فمنهم مادح ومنهج قادح، وذلك أول دليل على وفور فضله وقيمته ومكانته، وتفرده على أهل زمانه.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعطي هذا الشاعر حقه الذي امتاز به عند النقاد العرب القدماء، ليتجلى للدارس قيمة هذا الشاعر، وليظهر فضله النقدي الفني على النقاد العرب، وليتبين مدى الخدمات الجليلة التي قدمها للآخرين، وعليه فقد تم تقسيم البحث إلى فصلين هما: المتنبي عند الثعالبي، و المتنبي عند القرطاجني.

ويعود السبب لاختيار هذين الناقدين دون غيرهما على الرغم من الفارق الزمني الكبير بينهما (حوالي قرنين و نصف) إلى أنهما من النقاد المشهورين في النقد العربي القديم ، و لأنهما أفردا أجزاء من كتابيهما للحديث عن المتنبي لا يمكن تجاهلها، على الرغم من أن هذا الأمر ينطبق على كثير من النقاد القدامى ، غير أن الثعالبي و القرطاجني كان اهتمامهما بالمتنبي كبيرا.

المتنبي عند الثعالبي:

ظل المتنبي محور جهود نقدية متباينة، كتب عنه الكثير[4]، ودارت حوله الآراء والقضايا واختلفت وجهات النظر بين مؤيد ومعارض، فشكل ظاهرة أدبية (في القرنين الرابع والخامس الهجريين) اهتم بها النقاد القدامى والمحدثون.

وفي أوائل القرن الخامس كتب الثعالبي (ت 429 هـــ) كتاباً في التراجم سماه (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)، قال في حقه ابن خلكان (ت 681هـــ): (كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب،

---

[4] انظر: ابن عباد : **الكشف عن مساوئ المتنبي**، ، (ت 385)، الحاتمي (ت 388): **الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره**، القاضي الجرجاني، (ت 392): **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، العميدي،(ت 433) : **الإنابة في سرقات المتنبي**.

طلوع النجم في الغياهب، وتواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع، وله من التواليف "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها) وقد قيل فيها:

أبياتُ أشعارِ اليتيمةِ أبكارُ أفكارٍ قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سُمِّيتِ اليتيمة[5]

وقد خصص الثعالبي في كتابه فصلاً طويلاً عن المتنبي جمع فيه طائفة من أخباره وما أخذ على شعره، وما عد من محاسنه، وما الجديد الذي استحدثه. وكان الباب الخامس من اليتيمة في الجزء الأول (من 139-277) وسماه "في ذكر أبي الطيب، ماله وما عليه"[6].

ويبدأ المؤلف فصله بقوله: (هذا المتنبي وإن كان كوفي المولد إلا أنه شامي المنشأ بها تخرج ومنها خرج، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه المشهور به، إذ هو الذي رفع من قدره، ونفق سعر شعره، وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار ذكره سير الشمس والقمر، وسافر كلامه في البدو والحضر، وكادت الليالي تنشده والأيام تحفظه. فليس اليوم مجالس الدرس بأعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل، ولا لحون المغنين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين، وقد ألفت الكتب في تفسيره، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه

---

[5] أحمد بن محمد بن إبراهيم ، ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق د. إحسان عباس،(مجلد 3، دار الثقافة، بيروت)، 178-180.

[6] يقول محمد مندور: (ومن الواجب أن نشير إلى أن الكتاب الصغير المعنون "**أبو الطيب ماله وما عليه**" الذي نشره محمد علي عطية بمصر سنة 1915 ليس إلا فصل اليتيمة هذا طبع بمفرده). انظر: محمد مندور، **النقد المنهجي عند العرب**، مترجم عن الأستاذين لانسون وماييه،(نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1996)، 308.

وعيونه، وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح عنه[7]، والتعصب له وعليه، وذلك أول دليل وفور فضله، وتقدم قدمه، وتفرده عن أهل زمانه بملك رقاب القوافي ورق المعاني، فالكامل من عدت سقطاته، والسعيد من حسبت هفواته وما زالت الأملاك تهجى وتمدح)[8] .

ويجد الدارس أن الثعالبي ميالٌ مادحٌ للمتنبي، معجبٌ به وبشعره، ولعل هذا مؤشر قد يساعد في تحديد الموقف النقدي للثعالبي من المتنبي.

منهج الثعالبي في دراسة المتنبي

لخص الثعالبي منهجه بقوله: (وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه، وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه، وتفصيل الكلام في نقد شعره، والتنبيه على عيونه وعيوبه، والإشارة إلى غرره، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه، بعد الأخذ بطرف من طرف أخباره، ومتصرفات أحواله وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابه بعلو الشأن في شعر الزمان)[9] . من الواضح أن منهج الثعالبي في دراسة المتنبي منهج تاريخي في الأغلب مع بعض المناحي النقدية.

وقد قسم الثعالبي الباب الخاص بالمتنبي وهو (في ذكر أبي الطيب، ماله وما عليه) إلى عدة أقسام هي:

القسم الأول من الباب كان في (ذكر ابتداء أمره):

---

[7] النضح عنه: أراد الدفاع عنه.

[8] أبو منصور الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق محمد قميحة،(دار الكتب العلمية، بيروت، ج1)، 139-140.

[9] نفسه، 140/1.

تناول فيه الثعالبي حياة المتنبي من حيث سنة ومكان الولادة، وظروف النشأة، والسفر والتنقل والترحال، والحبس، والطموح والأماني، مع بعض الأشعار المناسبة للمقال، كما حدثنا عن قلق المتنبي قبل لقاء سيف الدولة، وطلبه الإمارة والرياسة، وقد أشار إليها الثعالبي بخاصة لما لها من فروقات فيصلية في تكوينها النفسي والفني. فهو يقول: (وما زال في برد صباه إلى أن خلق برد شبابه، وتضاعفت عقود عمره يدور حب الولاية في رأسه، ويضمر من كوامن وساوسه في الخروج عن السلطان والاستظهار بالشجعان، والاستيلاء على بعض الأطراف) [10].

ويستكثر المتنبي التصريح بذلك في مثل قوله:

لقد تصبّرْتُ حتى لاتَ مُصطَبَرٌ فالآنَ أَقْــحمُ حتى لاتَ مُقْتَحَمِ
لأتــركنَّ وجوهَ الخيلِ ساهِمةً والحربُ أقومُ من ساقٍ على قَدَمِ

والثعالبي في هذا القسم كان مؤرخاً وسارداً لسيرة المتنبي بذكر الحدث والموقف ليس غير.

أما القسم الثاني من الباب تناول فيه الثعالبي (نموذج من سرقات الشعراء منه):

ومن أمثلة ذلك قول المتنبي:

وصرتُ أشكُّ فيمن أصطفيهِ لعلمي أَنَّهُ بعضُ الأنامِ

أخذه أبو بكر الخوارزمي وقال:

قد ظلمناكَ بحسنِ الــ ظنِّ يا بعضَ الأنــامِ[11]

أما القسم الثالث من الباب (في سرقات المتنبي من غيره):

وقد استشهد عليها الثعالبي بعشرين شاهداً، منها قوله:

---

[10] نفسه، 142/1، 143.

[11] نفسه، 161/1.

كأنما كُسِيَ النهارُ بها دُجَى   ليلٍ، وأطلعتِ الرماحُ كواكباً

أخذه أبو الطيب من قول بشار:

كأنَّ مثارَ النقعِ فوقَ رؤوسِنا   وأسيافُنا ليلٌ تهاوى كَواكبُه[12]

وللثعالبي في هذا القسم بعض التعليقات النقدية التي تدل على إعجابه بالمتنبي، وحبه له وميله لمذهبه. فعلى الرغم من كون الشعر سرقة إلا أنه يقول: (أخذه أبو الطيب وجوّده) [13]، وقوله: (أخذه أبو الطيب فقال وأحسن). و (أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف، وأظهر الغرض) [14].

وأما القسم الرابع فاسمه (بعض ما تكرر في شعره من معانيه):

وكان القسم المميز والفريد في دراسته شعر المتنبي لأنه يشكل ظاهرة نقدية جديدة. حيث تمتاز (دراسة الثعالبي بأشياء جديدة لم نجدها فيما ألف عن المتنبي من قبل، منها المعاني التي كررها في شعره) [15].

كما علق على هذا القسم واستحسنه محمد مندور حيث قال: (وهذا باب لم نجد له مثيلاً عند النقاد، وهو عظيم الأهمية) [16].

وسماه بعضهم (باب السرقة الشخصية) أو (تكرار الشاعر أفكاره وعباراته وصوره الشعرية) [17].

---

[12] نفسه، 165/1.

[13] نفسه، 164/1.

[14] نفسه، 167/1.

[15] عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، 375.

[16] مندور ، **النقد المنهجي عند العرب**، 310.

[17] محمد زغلول سلام، **تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري**، (دار المعارف، مصر)، 375.

وقال عنه الجادر: (فكان ذلك – الثعالبي – من أوائل النقاد الذين أخضعوا الحديث عن السرقات لهذا المفهوم الفني) [18].

وقد أورد الثعالبي ثمانية وعشرين بيتاً من الشعر في هذا القسم وجميع تلك الأبيات ذات علاقات واضحة بحياة الشاعر، ونفسيته، ومزاجه، وطبعه، وثورته على الدهر والأهل وطموحه وطمعه في الولاية والرياسة.

ومن الأمثلة على ذلك قوله وقد شعر بالألم النفسي لعدم نيل مراده:

وأتعبُ خلقِ اللهِ من زادَ هَمُّهُ   وقصَّر عما تشتهي النفسُ وحدَهُ

كرره بقوله:

لحى اللهُ ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ   فكلٌّ بعيدِ الهمِّ فيها معذّبُ[19]

وقوله في سيف الدولة:

وأنتَ المرءُ تمرضه الحشايا   لهمتِهِ، وتشفيهِ الحروبُ[20]

ويكرره في قوله (يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر):

وما في طبِّهِ أنِّي جوادٌ   أضرَّ بجسمِهِ طولُ الجمامِ[21]

فهذا معنى مستقر في نفس الشاعر ومتأصل ومتصل به (فالمتنبي له طبيعة طموحة فعالة لا يحب الخمول، ودائماً نفسه تصبو للمغامرة والحرب، ولكم من مرة أحس

---

[18] – محمود عبد الله الجادر، **دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث**،(وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد)، 374.

[19] الثعالبي ، **اليتيمة**، 180/1.

[20] نفسه، 171/1.

[21] نفسه، 172/1.

الشاعر بالملل وبخاصة أيام إقامته بمصر، أو إن شئت فقل إنه يمثل في نفس الشاعر مثلاً أعلى يضنيه فقدانه) [22].

ومن تكرار معانيه أيضاً الاعتزاز بالأخلاق وقصر الجمال عليه، كقوله:

وما الحسنُ في وجهِ الفتى شَرَفاً له   ولكنّهُ في فِعْلِهِ والخَلائقِ[23]

وقريب منه قوله:

يحبُّ العاقلونَ على التصافي   وحبُّ الجاهلينَ على الوَسَامِ[24]

ثم قوله في وصف الخيل:

إِذَا لَمْ تشاهدْ غيرَ حُسن شياتها   وأعضائها فالحسنُ عنك مغيبُ[25]

إن تكرار المعاني ذاتها في شعره ظاهرة فنية نفسية لا يقدر عليها إلا الشاعر الفنان الخبير بفنه ولا يكررها إلا لهدف (قد يدل على امتلائه بها وانشغاله بأمرها، حتى لنستطيع أن نرى فيها أفكاره الأساسية) [26].

ويمكن القول إن (التكرار قد يكون عظيم الأهمية في تبصرنا لنفسية الشاعر أو مثله العليا، كما قد يدل على إعجابه ببعض الصور الفنية، وأخيراً قد يكون وسيلة لمعرفة بعض صفات الممدوحين الحقيقية) [27].

والغريب أن الثعالبي لم يعلق على تكرار المعاني نفسه عند المتنبي على الإطلاق، وكان يكتفي بقوله: (وقال المتنبي – وهو من قلائده) [28]. ثم يذكر مناسبة القول، ولعله في ذكره للمناسبة كان يقدم إيحاءً نفسياً لمعنى التكرار.

---

[22] مندور ،**النقد المنهجي عند العرب**: 312.

[23] الثعالبي ، **اليتيمة**، 178/1.

[24] نفسه، 178/1.

[25] نفسه، 178/1.

[26] مندور ، **النقد المنهجي عند العرب**: 310.

[27] نفسه، 314.

[28] الثعالبي ، **اليتيمة**، 178/1

لذلك فقد (أشار الثعالبي إلى أن بعض المعاني التي كررها المتنبي من قلائده فعبر بذلك عن كونها من المعاني التي ابتكرها الشاعر، وتأصلت في نفسه فكررها، وكان ذلك تعبيراً موجزاً) [29].

ولست أراه في هذا القسم سوى ناقد لم يتم عمله النقدي، فبعد أن كشف الستار عن الجديد المثير اختفى، فلو أنه ربط تلك المعاني المتكررة بمناسباتها وظروفها الجديدة، ربما كان ذلك أفضل، فقد يصل بنا إلى نظريات جديدة نقترح منها مثلاً (الناحية النفسية وتعدد الصور الفنية للمعنى الواحد) أو (أصالة المعاني وتكرارها في الشاعر الإنسان) أو (المتنبي وأبعاد معانيه القديمة والجديدة).

وفيما ذهبنا إليه، يجيبنا محمد مندور بقوله: (وأما الثعالبي فقد جمع تلك المعاني دون أن يدرسها أو أن يوضح لجمعها حكمة) [30].

أما القسم الخامس (ما ينعى علي أبي الطيب من معائب شعره وقبائحه):

تحدث في هذا القسم عن قبح المطلع معلقاً بقوله: (وحقه الحسن والعذوبة لفظاً، والبارعة والجود معنى، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن، فإذا كانت حاله على الضد مجه السّمع وزجّه القلب ونبت عنه النفس) [31]. كقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية:

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافياً وحسبُ المنايا أَنْ يكنّ أمانيا

---

[29] الجادر ، **دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث**: 376.

[30] مندور ، **النقد المنهجي عند العرب**، 314.

[31] الثعالبي ، **اليتيمة**، 181/1.

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة، التي تنفر منها السوقة، فضلاً عن الملوك[32].

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله:

مُلِثَّ القَطْرِ أعطشها رُبُوعاً   وإلاّ فاسْقِها السمَّ النَّقيعا[33]

وذكر الثعالبي أيضاً من مقابحه اتباع الفقرة الغراء، بالكلمة العوراء، حيث يقول: (ما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة، ويعود لهذه العادة السيئة ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط)[34]. مثال ذلك قوله:

جعلتكَ في القلبِ لي عدة   لأنَّكَ باليدِ لا تَجْعَل

ومن مقابحه أيضاً استكراه اللفظ وتعقيد المعنى. فيقول: (وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضل ويضل ويَتعب ويُتعب ولا ينجح). ومثال ذلك قوله:

فتبيتُ تُسْئِدُ مُسْئِداً في نَيّها   إسادَها في المَهْمَةِ الإنضاءُ[35]

وكذلك من مقابحه عسف اللغة والإعراب، والخروج عن الوزن، واستعمال الغريب الوحشي، وإبعاد الاستعارة، والخروج بها عن حدها، والاستكثار من قول (ذا)، والإفراط في المبالغة والخروج فيه إلى الإحالة[36]. والركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيه، ويعلق الثعالبي على ذلك بقوله: (وكانت الشعراء تصف المآزر، تنزيها لألفاظها عما يستشنع ذكره، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال:

إني على شَغَفي بما في خُمْرِها   لأعفُّ عما في سَرابيلاتِها

---

[32] نفسه، 182/1.

[33] نفسه، 183/1.

[34] نفسه، 184/1.

[35] نفسه، 191/1.

[36] نفسه: 1/ 193، 195، 169، 201، 202، 204.

وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف[37].

ومن معايبه أيضاً إساءة الأدب بالأدب، مثال ذلك في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ويعزيه عنها:

وهل سمعتِ سلاماً لي ألمّ بها فَقَد أَطَلْتُ وما سَلمتُ من كَثَبِ

وفي هذا يقول: (وما باله يسلم على حرم الملوك. ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله:

يَعلمنَ حينَ تُحيّا حُسنَ مَبْسَمِهَا وليس يعلمُ إلا اللهُ بالشّنبِ

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها وضربت عنقه على قبرها) [38].

كذلك من مقابحه الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين، ويعلق الثعالبي على هذا بقوله: (إن الديانة ليست عاراً على الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر). لذلك يقول إحسان عباس: (كرر الثعالبي قول القاضي . . إلا أنه عدل في هذا الحكم الذي كان القاضي قد أطلقه دون تحديد، فدل بذلك على أنه يحاول أن يجعل للدين تدخلاً في المقياس الأدبي حين قال "ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ

الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً، ومن استهان بأمره ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته) [39].

---

[37] نفسه، 201/1.

[38] نفسه، 209/1.

[39] عباس ، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** ، 376.

ويقول الثعالبي في ضعف عقيدة المتنبي: (كثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب) [40].
وإليك قوله وقد جاوز حد الإساءة:

أيُّ محـــــلٍّ أرتـــــــقي؟!   أيُّ عـــــظيمٍ أتقي؟!
وكلُّ ما قد خَلَق   اللـــــ   ـــــهُ وما لم يُخْلَقِ
مُـــــــحْتقرٌ في همــتِي   كَشَعْرةٍ في مَفْرَقِي[41]

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة، ومثال ذلك قوله:

تمتع من سُهَاد أو رُقاد   ولا تأمُلْ كرًى تحت الرِّجامِ[42]
فإنّ لثالثِ الحالينِ معنى   سوى مَعنى انتباهكِ والمنامِ[43]

وقوله:

والأسى قبلَ فرقة الروح عجزٌ   والأَسَى لا يكون قبلَ الفِراقِ[44]

ولم يعلق الثعالبي على فلسفة المتنبي بكلمة غير أنه عدّها من معايب شعره، ولعل السبب في ذلك (أن الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة كإحدى المساوئ دلالة تاريخية لها قيمتها إذ يشهد بأن الرأي الغالب في ذلك العصر أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع كان لا يزال يفصل الشعر عن الفلسفة، ويرى في الخروج عن طريق الشعر إلى الفلسفة عيباً يحط من قيمة الشعر، ولا يظن القارئ أن ما يعيبه الثعالبي هو استعمال المصطلحات الفلسفية في الشعر فحسب فإنه يعيب أيضاً الأفكار الفلسفية حتى ولو كانت مستقيمة الصياغة عادية الألفاظ) [45].

---

[40] الثعالبي ، **اليتيمة**، 210/1.

[41] نفسه، 211/1.

[42] الرجام: **الحجارة توضع على القبر**.

[43] نفسه، 215/1.

[44] نفسه، 214/1.

[45] مندور ، **النقد المنهجي عند العرب**: 314.

ومن آخر مقابحه تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين[46]، واستكراه التخلص. يقول القاضي: (لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكرهاً إلا في قوله:

أحبك أو يقولوا: جَرّ نملٌ   ثبيرَ أوِ ابنُ إبراهيم ريعاً[47]

وقبح المقاطع، ومنه قوله:

خلتِ البلادُ من الغزالةِ ليلَها   فأعاضَهاكَ اللهُ كي لا تَحْزَنا[48]

وهناك عيوب أخرى عدها الثعالبي وكلها مما تردد عند الصاحب والقاضي الجرجاني[49]. وفضل الثعالبي في هذا القسم فضل الجامع فحسب[50].

أما القسم السادس (المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد) التي زاد فيها على من تقدم، وسبق جميع من تأخر[51].

ومنها حسن الطالع. كقوله:

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ   هو أولٌ، وهي المَحَلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حرة   بلغتْ من العلياءِ كلَّ مكانِ[52]

ومنها حسن الخروج والتخلص كقوله:

وإلا فَخَانَتْني القوافي، وَعَاقَني   عن ابن عبيدِ اللهِ ضعفُ العزائمِ
إذا صلت لم أترك مصالاً لصائلٍ   وإن قلتُ لم أتركْ مَقالاً لعالِمِ[53]

---

[46] الثعالبي ، **اليتيمة**، 205/1.

[47] نفسه، 215/1. الثبير: اسم جبل.

[48] نفسه، 217/1.

[49] انظر حول ذلك في: عباس ، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**: 377.

[50] نفسه:310.

[51] الثعالبي ،**اليتيمة**، 217/1.

[52] نفسه، 217/1.

[53] نفسه، 219/1.

ومنها النسيب بالأعرابيات. كقوله:

من الجآذْرُ في زيِّ الأعَاريبِ   حُمْرَ الحِلَي والمطايا والجَلابيبِ
فؤادُ كلِّ محبٍّ في بيوتِهم   وَمَالُ كُلِّ أخيذِ المالِ مَحْروبِ
ما أوجه الحَضَرِ المستحسناتُ به   كأوجه البدوياتِ الرعابيبِ
حسنُ الحضارةِ مجلوبٌ بتطريةٍ   وفي البداوةِ حُسنٌ غيرُ مجلوبِ

وفي ذلك يقول الثعالبي: (ناهيك لهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن، وله طريقة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها) [54]، فمنها قوله:

هامَ الفؤادُ بأعرابيةٍ سكنتْ   بيتاً من القلبِ لم تمدد له طنبا
مظلومةُ القدِّ في تشبيهه غُصُناً   مظلومةُ الريقِ في تشبيهه ضَرَبا[55]

فقد كان للثعالبي فضل السبق في اكتشاف جديد يميز به دراسته عن المتنبي (وفي هذه الناحية لم يقف عند حدود حسن المطالع والخروج والتخلص بل لمح أشياء في الموضوع أجاد فيها المتنبي كالغزل في الأعرابيات) [56].

ومن محاسنه أيضاً حسن التصرف في الغزل[57] وحسن التشبيه بغير أداة التشبيه، ومنه قوله:

بدتْ قَمراً، ومالتْ غَصنَ بانٍ   وفاحتْ عَنْبراً، ورنتْ غَزالاً [58]

---

[54] نفسه، 220/1.

[55] نفسه، 221/1.

[56] عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**: 375-376.

[57] انظر: الثعالبي، **اليتيمة**، ج1، 222-223.

[58] نفسه، 224/1.

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات كقوله في الحمى:

وزائرتي كأن بها حياءً   فليس تزورُ إلا بـــالظلام
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا   فعافتها وباتتْ في عِظامي[59]

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته[60]، ومنها المدح الموجه[61]، ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة كقوله:

يسمى الحسام وليست من مشابهة   وكيف يشتبهُ المخدومُ والخدم
كلُّ السيوفِ إذا طال الضرابُ بها   يمسُّها– غيرُ سيفِ الدولةِ – السأم[62]

ومن أبلغ مدائحه مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق، مع الإحسان والإبداع. يقول الثعالبي في هذا: (وهو مذهب له، تفرد به، واستكثر من سلوكه، اقتدارا منه، وتبحراً في الألفاظ والمعاني، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء، وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك) [63].

ولعل هذا يعود لأسباب نفسية تميز بها الشاعر فميز بها شعره، فهو ينظر لنفسه نظرة الترفع والإباء، فليس أقل من أن يتدرج بلغته الشعرية إلى مماثلة الملوك، فهذا الأمر (يقوم عند الثعالبي على ركنين أولهما فني، وهو قدرة المتنبي على نقل اللفظ من الميدان الذي ألف استعماله فيه إلى ميدان جديد، وذلك أمر مشترط بالاقتدار والتبحر

---

[59] نفسه، 226/1.
[60] نفسه، 227/1.
[61] نفسه، 229/1.
[62] نفسه، 231/1.
[63] نفسه، 237/1.

بالألفاظ والمعاني. وثانيهما بيئي، يمثل القناعة التي حصلت في نفس المتنبي بأنه أعلى مكانة من غيره من الشعراء، وأقرب إلى مماثلة الملوك، لما تمتلئ به نفسه من طموح) [64].

ومن الأمثلة على ذلك قوله لسيف الدولة:

مالي أكتم حباً قد برى جسدي   وتدعي حبّ سيفِ الدولةِ الأممُ
إن كان يجمعنا حبٌّ لِغُرتِهِ   فليتَ أنّا بقدر الحبِّ نقتسمُ
يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي   فيك الخصامُ، وأنت الخصمُ والحكمُ
ما أبعد العيبَ والنقصانَ من شرفي   أَنَا الثريا وذانِ الشيبُ والهرمُ

لقد كان لاستخدام لغة الحب في المدح بعد نفسي صادق وعميق في تاريخ الشاعر وطبيعته النفسية – كما هو واضح في الأبيات الشعرية السابقة – أكثر من أي بعد فني ماهر علله الثعالبي، وقد أجاد مندور بتعليله ذلك عندما قال: (الشاعر قوي الانفعال سريع التأثر عنيف الإحساس، زخرت نفسه ففاضت فجاء مدحه أشبه بالغزل، وخاصة في مدحه لسيف الدولة لقد كانت المودة صادقة دامت تسع سنوات، وانتهت إلى أن جعلت استخدام لغة الحب في المدح إحدى خصائص الشاعر) [65]، فقد كان مدح المتنبي لسيف الدولة (مدحاً صادقاً لا تكلف فيه ولا التواء، وهو صادر حقاً عن قلب الشاعر الذي رأى في أمير حلب رجلاً شهماً كريماً، وقد زاده حباً له كونه عربياً شجاعاً) [66].

ويعزز عبد الرحمن شعيب دور الثعالبي في استكشاف هذه الفريدة وتحليلها بقوله: (إذا كان الثعالبي قد تناول هذه الخاصية من خصائص المتنبي، فإن المشكور له هنا هو محاولة استكشاف أسبابها في نفس المتنبي، ومحاولة استنباط الأحاسيس والمشاعر التي كانت تساور الشاعر وتعتمل بنفسه حتى دفعته إلى مخالفة نهج المداحين ومجانبة

---

[64] الجادر ، **دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث**: 376.

[65] – مندور ، **النقد المنهجي عند العرب**: 316.

[66] نفسه، 317.

طريقهم في المدح والثناء)[67]. ومن بدائع محاسنه أيضاً استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد، (وهو أيضاً مما لم يسبق إليه، وتفرد به، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل وأرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام)[68]. كقوله:

شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقةٌ لهُ   إذا زارها فدته بالخيلِ والرجلِ

ويقول أيضاً:

تعودُ أن لا تقضم الحب خيله   إذا الهام لم ترفع جنوب العلائقِ
ولا ترد الغدرانَ إلا وماؤها   من الدمِ كالريحانِ تحتَ الشقائقِ[69]

إن استعمال المتنبي لألفاظ الغزل والنسيب في وصف الحرب والجد قدرة إبداعية متميزة تتناسب وطبيعة الشاعر النفسية والفنية، وهذا سبق يكون الفضل فيه أيضاً للثعالبي الذي قدم الجديد الفني عند

المتنبي، ولكنه البعيد عن التعليق النقدي، وأول (ما نلفت النظر إليه هو ما لاحظه صاحب اليتيمة نفسه من أن استخدام لغة الحب في المدح والحرب مذهب انفرد به المتنبي وهذا حق، لأننا لم نعهد ذلك في شعراء

العرب جاهليين كانوا أو إسلاميين)[70]. وعليه، فإن هذه الفرائد من مخاطبة الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق واستعمال ألفاظ الغزل والنسيب في ألفاظ الحرب والجد، والتغزل بالأعرابيات كان الفضل في اكتشافها للثعالبي. وإذا (كان النقاد قد توفروا على هذا الديوان توفراً أوقفهم على ما ساقوه من مآخذ في هذا المجال، فإنا لم نجد من بينهم من أدرك خاصية من خصائص المتنبي الأساسية مع أنها من الخصائص البارزة التي تفرد بها وأكثر منها،

---

[67] شعيب ، **المتنبي بين ناقديه،** 115.

[68] الثعالبي ، **اليتيمة،** 239/1.

[69] نفسه، 240/1.

[70] مندور ،**النقد المنهجي عند العرب**: 316.

اللهم إلا أبا منصور الثعالبي الذي اهتدى إليها وذكرها في معرض الحديث عن محاسنه، وذكر أنها من محاسنه التي تفرد بها و لم يسبق إليها أحد) [71].

ومن محاسنه حسن التقسيم[72]، وحسن سياقة الأعداد[73]، وإرسال المثل في أنصاف الأبيات ومنها:

قوله: وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ[74]
وقوله: وما خيرُ الحياةِ بلا سرورٍ[75]
وقوله: إن النفيسَ غريب حيثما كانا[76]
وقوله: أنا الغريقُ فما خوفي من البللِ[77]

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد. كقوله:

وما قتلُ الأحرارِ كالعفوِ عنه   ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا[78]

ومنها إرسال المثل والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجري مجراها وكان هذا الجزء أكبر الأجزاء في القسم السادس، منه نتلمس حياة الشاعر، ومزاجه، وطابعه الذي يبدو في إبائه وكبره وإعراضه عن صغار الناس وصغائر الأمور، وثورته على الدهر وأهله دون أن تحظى تلك الأمثال

والمواعظ بأي تعليق من الثعالبي. ومن أقواله في هذا المجال:

إليك فإني لست ممن إذا اتقى   عضاض الأفاعي نامَ فوقَ العقاربِ[79]

---

[71] شعيب ، **المتنبي بين ناقديه**، 378.

[72] الثعالبي ،**اليتيمة**، 241/1.

[73] نفسه، 243/1.

[74] نفسه، 245/1.

[75] نفسه، 246/1.

[76] نفسه، 247/1.

[77] نفسه، 248/1.

[78] نفسه، 251/1.

[79] نفسه، 252/1

وقوله: ماكلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ   تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفن[80]
وقوله: ذوالعقل يشقى في النعيمِ   وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ ينعم بعقله[81]
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من   حتى يُراقَ على جوانبهِ الدم الأذى
وقوله: إذا ساءَ فعل المرءِ ساءت   وصدق ما يعتاده من توهم ظنونه[82]
وعادى محبيه يقولُ   وأصبح في ليلٍ من الشكِ مظلم عدا

لقد أورد الثعالبي في هذه الفريدة مئة وخمسة وعشرين بيتاً شاهداً، وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر، وقدرة على الإبداع ظاهرة[83].

ومن محاسنه أيضاً افتضاضه أبكار المعاني في المراثي والتعازي[84]، والإيجاع في الهجاء[85]، وإبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة والرمز بالطرف والملح[86]، وحسن المطلع وهو آخر تلك الفرائد والمحامد[87].

وكان القسم السادس أهم أقسام الباب، بلاغة وفناً جديداً استحدثه المتنبي واكتشفه الثعالبي، وملمحاً من حياة المتنبي النفسية والاجتماعية من خلال أمثاله

---

[80] نفسه،251/1
[81] نفسه، 258/1.
[82] نفسه، 261/1.
[83] نفسه، 259/1.
[84] نفسه، 262/1.
[85] نفسه، 266/1.
[86] نفسه، 267/1.
[87] نفسه، 274/1.

وحكمه وفنه الشعري، ولعل: (هذا القسم هو خير ما في الباب كله، أو لعل فضل المؤلف فيه أوضح لأن كثيراً مما ذكره لم تلقه عند النقاد السابقين) [88].

أما القسم السابع (في ذكر آخر شعره وأمره):

ذكر فيه الثعالبي آخر أشعاره، وأورد خبر وفاته (وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن الحال ووفور مال، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومجاراتهم إياه، وتكشف الوقعة عن قتله . . وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ويختم الثعالبي بابه بقوله: (وقد جمح بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله وتصييره كتاباً برأسه في أخبار أبي الطيب، والاختيار من أشعاره، والتنبيه على محاسنه ومساويه) [89].

ويمكن من خلال ما سبق استنتاج النتائج والملاحظات الآتية:

أولاً: الثعالبي المؤرخ:

1- الثعالبي كان مؤرخاً في الدرجة الأولى وجامعاً لأخبار المتنبي وأشعاره.

2- الثعالبي عرض لكثير من الشخصيات التاريخية الجديدة المعاصرة للمتنبي.

ثانياً: الثعالبي الناقد:

1- كشف عن ظواهر فنية في شعر المتنبي كظاهرة تكرار المعاني، وظاهرة استخدام لغة الحب في الحرب، وظاهرة مخاطبة الملوك مخاطبة الصديق المحبوب، وظاهرة التغزل بالأعرابيات، دون أن يتبع ذلك تحليلاً نقدياً وافياً.

2- الحكم بموضوعية في ذكر مقابح أشعار المتنبي ومحامده.

---

[88] مندور ،**النقد المنهجي عند العرب**: 310.

[89] الثعالبي ، **اليتيمة**، 1/279 – 280.

3- استشهد بشعر المتنبي بشكل كثير جداً.

4- وقف أمام بعض القضايا الفنية في شعر المتنبي كالأمثال والحكم في شعره، دون تعليق رغم كثرة الشواهد.

ثالثاً: الثعالبي والمتنبي:

هو في رأيه شاعر مرموق متميز، وموهوب، وطموح، قوي الشخصية صادق العاطفة في مدحه محباً كان أو راجياً، جاء بالفريد والجديد والغريب والنادر، أبدع كل الإبداع ففاق أهل زمانه وعصره، وأثبت براعته في كل الأغراض الشعرية وبمختلف المستويات اللغوية والفنية وبشكل جديد غير مألوف يتناسب وطبيعة الشاعر الفنية والنفسية والثقافية*.

المتنبي عند القرطاجني:

لعل الخصائص النفسية والعقلية والثقافية والفنية التجديدية والحكمية التي امتاز بها المتنبي كانت من الأسباب التي جعلت القرطاجني يعجب بالمتنبي ويحيل عليه في كثير من المواضع الشعرية. لذلك يقول محقق كتاب المنهاج عن حازم في استشهاداته: (فهو يستدل أحيانا بالاستعمالات القرآنية التي يحيل عليها، وأحياناً كثيرة أخرى يورد

---

* انظر مزيدا من موقف الثعالبي النقدي تجاه المتنبي عند محمود عبدالله الجادر : **يتيمة الدهر و الموقف النقدي من المتنبي** (مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 32 ، 1982) ، 75 وما بعدها.

أبيات الشعراء السابقين القدامى أو أبيات أصحاب المعاني. وأكثر ما يحفل منها بأشعار المتنبي) [90].

ويقول أيضاً عن حازم في ألفاظه (ويستعمل كثيراً من ألفاظ واصطلاحات الفلاسفة وبخاصة المناطقة، حتى إذا هم بالرجوع إلى منهج النقاد العرب، اتخذ لذلك الأمر لبوسه وجاراهم في استخدام المصطلحات البلاغية، وفي هذا المقام ينوه عظيم التنويه بأبي الطيب المتنبي الذي يبز الشعراء في نظمه بفضل معرفته الواسعة بالبلاغة وطول تجربته الشعرية) [91].

وعليه، فإننا سنتجول في كتاب المنهاج من الناحية الفنية والبلاغية الخاصة بالمتنبي والمتناسبة مع آراء حازم النقدية والفنية. ومن هنا يقول حازم عن المتنبي في هذا الشأن (وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها من الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاذ الأعمار فيها! وإنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه، ألا ترى أن كثيراً من العلوم قد نفذ فيها قوم في أزمنة لا يستغرق إلا جزءاً من العمر؟ وهذا أبو الطيب المتنبي، وهو إمام في الشعر، لم يستقم شعره إلا من مزاولة الصناعة عشرين سنة) [92].

---

[90] أبو الحسن حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3 ، 1981)، 114.

[91] نفسه، 100.

[92] نفسه، 88.

ويقول المحقق في مجال الإبداع الفني عند المتنبي وما تأثر به حازم (من يتعمق في جملة آثار حازم الشعرية ويتعرف إلى مميزاتها ير ميل حازم إلى مناهج المجددين السابقين من شعراء العربية)[93].

وهذا بالفعل ما وجدناه في كتاب المنهاج تحت معلم (المعرفة بما يجب اعتماده في الفصول من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح أقناص المعاني ومعاضدة التخييل فيهما بالإقناع على الوضع الذي يليق بذلك ويحسن به موقعه من النفوس). فيقول في هذا: (كان أبو الطيب يحسن وضع البيت الإقناعي من الأبيات المخيلة لأنه كان يصدر الفصول بالأبيات المخيلة، ثم يختمها ببيت إقناعي يعضد به ما قدم من التخييل ويجم النفوس لاستقبال الأبيات المخيلة في الفصل التالي. فكان لكلامه أحسن موقع في النفوس بذلك، ويجب أن يعتمد مذهب أبي الطيب في ذلك، فإنه حسن)[94].

وفي معلم (أحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض) يقول: (من يردف الأقوال الشعرية بالخطابية فإن الأحسن له أن يفتتح الفصل بأشرف معاني المحاكاة ويختمه بأشرف معاني الإقناع، وإلى هذا كان يذهب أبو الطيب المتنبي – رحمه الله – في كثير من كلامه)[95].

وفي مذهب (المراوحة بين المعاني الشعرية والخطابية) نجد رأياً فنياً ونقدياً خاصاً للقرطاجني يحسب للمتنبي ويجعله القدوة فيه. فيقول: (وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة، الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها، مناسبة لها في ما قصد بها

---

[93] نفسه، 86.

[94] نفسه، 293.

[95] نفسه، 289.

من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة. وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة. وكان أبو الطيب المتنبي يعتمد المراوحة بين معانيه، ويصنع مقنعاها من مخيلاها أحسن وضع، فيتمم الفصول بها أحسن تتمة، ويقسم الكلام في ذلك أحسن قسمة. ويجب أن يؤتم به في ذلك فإن مسلكهُ فيه أوضح المسالك) [96].

وفي معلم (طرق العلم بما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من قال هي أوائل البيوت وأواخرها) يستشهد بقول المتنبي:

تَرَاها لِكَثْرةِ العشاقِ تَحْسبُ الدمعَ خِلْقةً في المآقي[97]

وفي معلم (الإبانة عن كيفية العمل في أحكام مباني القصائد وتحسين هيآها) يقول في تنويره: (فأما ما تجب العناية بالتأنق فيه على الوجه المختار فتحسين المبدأ والتخلص) [98]. وأما ما تتأكد به العناية ولا سيما عند من أخذ بمذهب أئمة المحدثين فتحسين البيت التالي للبيت الأول من القصيدة لتناصر بذلك حسن المبدأ، ومثل هذا قول أبي الطيب المتنبي:

لعينيكِ ما يَلقَى الفؤادُ وما لَقي وللحُبِّ ما لم يبقَ مني وما بَقي
وَمَا كنتُ ممن يدخلُ العشقُ قلبَهُ ولكنّ من يُبْصرْ جُفونَكِ يَعْشَقِ[99]

وفي مذهب الإبداع في الاستهلال (وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة) [100]. يجد المتنبي متمثلاً لذلك في كل حالاته الفنية، فيقول: (ومن حسن المبادي أن يتناصر الحسن في المصراعين دون البيت الثاني، نحو قول أبي الطيب:

---

[96] نفسه، 262.

[97] نفسه، 284.

[98] مثال حسن التخلص، انظر **المنهاج**، 308.

[99] نفسه، 307.

[100] نفسه، 309.

َترَاها لِكَثْرةِ العشاقِ تَحْسبُ الدمعَ خِلْقةً في المآقي[101]

ويتابع: ومما أستحسنه أنا قول أبي الطيب:

أَغالبُ فيك الشوق والشوقُ أَغْلَبُ[102]

وفي مذهب التسويم يقول: (ولما كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجوهها إعلاماً عليها وإعلاماً بمغزى الشاعر فيها، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء وشهرة حتى كأنها بذلك ذوات غرر، رأيت أن أسمي ذلك بالتسويم)[103].

ويضيف قائلاً: (وممن كان يحسن الاطراد في تسويم رؤوس الفصول أبو الطيب المتنبي وذلك نحو قوله:

أُغالِبُ فيكَ الشوقَ، والشوقُ أَغلبُ وأعجبُ من ذا الهَجْرِ، والوصْلُ أَعْجَبُ

فضمن هذا البيت من الفصل الأول تعجيباً من الهجر الذي لا يعاقبه وصل، ثم أكد التعجيب في البيت الثاني الذي هو تتمة الفصل الأول، ثم ذكر من لجاج الأيام في بعد الأحباء وقرب الأعداء، وكان ذلك مناسبا في الهجر)[104].

ثم افتتح الفصل الثاني بالتعجب من سرعة سيره فقال:

ولله سيرى ما أقل تئيةً عشيةَ شَرّقَ الحدُّ إليّ وغرّب

فكان هذا الاستفتاح مناسباً للبيتين المتقدمين من جهة التعجب وذكر الرحيل، ثم بين حاله وحال من ودعه عند الوداع[105]. وهكذا يعرض القرطاجني للأبيات الأخرى من القصيدة نفسها، ويؤكد على عنصر ترابطها مع مقدماتها[106].

---

[101] نفسه، 311.

[102] نفسه، 313.

[103] نفسه، 297.

[104] نفسه، 298.

[105] نفسه، 298.

[106] نفسه، 299.

ويعلق خاتماً بقوله: (فاطرد له الكلام في جميع ذلك أحسن اضطراد، وانتقل في جميع ذلك من الشيء إلى ما يناسبه وإلى ما هو فيه بسبب ويجمعه وإياه غرض. فكان الكلام بذلك مرتباً أحسن ترتيب، ومفصلاً أحسن تفصيل، وموضوعاً بعضه من بعض أحكم وضع) [107].

وفي مذهب التحجيل يقول: (وإذا ذيلت أواخر الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية واتضحت شيآت المعاني التي بهذه الصفة على أعقابها فكان لها ذلك بمنزلة التحجيل، زادت الفصول بذلك بهاء وحسناً، ووقعت من النفوس أحسن موقع) [108].

ويضيف قائلاً: (وممن سبق إلى وضع هذه المعاني مذهب الحكمة والتمثل في نهايات الفصول ومقاطع القول فيها، وسبك القول فيها أحسن سبك زهير. ثم جاء أبو الطيب في المولدين فولع بهذا الفن من الصنعة، وأخذ خاطره به حتى برز في ذلك وجلى وصار كلامه في ذلك منتمياً إلى الطراز الأعلى) [109].

و لم يعقب القرطاجني على حكم المتنبي بكلمة، ولكنه يبدو من مقولته بأنه يرجعها لأصول عربية قديمة بدليل ذكره للشاعر زهير وهو أقرب زمناً للتأثر به من غيره، وإن كان التأثر بالآخرين لا ينقص من قدر أصالة الشاعر وعروبته شيئاً. ولكن الحكمة وفلسفة الحياة يكتسبها الإنسان من تأملاته الشخصية في الحياة، وتجاربه المتنوعة في ميادينها، والأهم أن يكون مؤهلاً نفسياً وعلمياً للوصول إلى هذه المكانة، وأن تكون لديه المواهب الفذة التي تقوده إلى أغوار الأشياء، فيسبر أعماقها، ويبحث عن جذورها. فقدرة المتنبي الحكيمة تكمن قبل كل شيء في أهليته لارتياد منابع الحكمة التي اكتسبها بخبرته الحياتية وتجاربه الذاتية.

---

[107] نفسه، 299.

[108] نفسه، 300.

[109] نفسه، 301.

وكان المحرك لطموحاته وأمانيه شجاعته التي قادته إلى كثير من المخاطر، تلك المخاطر التي استطاع في كثير من الأحيان أن يكبح جماحها ويضبط قوة اندفاعها لتقديره للأمور، وهيمنته على المواقف الحرجة التي كانت تقف عقبة في طريق طموحاته، تلك المواقف المختلفة على تنوعها تفجر في نفسه طاقات هائلة من المعاني، وهنا تكمن قوة الإبداع[110]. وهذا ليس غريباً عن المتنبي الشاعر المعتز بنفسه والمحترم لها الذي جالس الملوك والحكام وطمح بنفسه إلى مكانتهم.

فحياة المتنبي مليئة بالأحزان والمصائب، ومن ثم نلمح في شعره رنة عميقة من الأسى ونغمة حزينة كذلك، والحزن بطبعه أعلق بالنفوس وأكثر من غيره تعلقاً بالقلوب. وما أكثر دواعيه في الحياة بصورة تجعله في بعض الأحيان سلسلة متصلة الحلقات، ومن ثم تجد النفس سلواها في بيت حكيم يزيل شحنها ويخفف وقع البلوى عليها، أو في شكوى صارخة من تلك الشكايات التي ترينا أن الناس كلهم سواسية في قبضة الدهر. وأدب المتنبي أملأ الآداب بالشكوى من الناس تارة، ومن الحياة تارات أخر[111].

فالحكمة عنده أثر تجربة ذاتية عاناها أوحت له بقضية، وإن توافقت مع غيره من الفلاسفة والحكماء السابقين في معانيها العامة، فهي نابعة من اعتبار ذاتي، وانفعالي، ونفسي عميق يخلق من الشاعر فيلسوفاً، ولا يخلق من الفيلسوف شاعراً.

ولم يستشهد حازم ببيت واحد من أبيات المتنبي في الحكمة، ولعله قصد من ذلك أن يومئ بسؤال . . من لا يعرف حكم المتنبي ؟

---

[110] حسن قرعاوي، **الحكمة في شعر المتنبي**، (دار عمار، عمان، ط1،)1986، 45.

[111] شعيب ، **المتنبي بين ناقديه**، 307-308.

وتمثل القرطاجني أبيات المتنبي أيضاً في حديثه عن المعاني الأصيلة في المدح والذم وما ليس منها أصيلا بذلك[112].

كما أسعفته أبيات المتنبي في معلم (وقوع المعاني المتقاربة متمكنه)[113].

وفي حديثه عن (المنازع الشعرية التي يكون للكلام بها موقع حسن في النفوس) يتمثل أيضاً أبيات المتنبي في إضافته ضد الشيء إليه مثل:
صلةُ الهجرِ لي، وهجرُ الوصال[114]
وفي إعماله الشيء في مثله كقوله:
أَسَفِي على أَسَفِي الذي دَلّهتِني   عن علمِهِ فَبهِ عليّ خَفَاءُ[115]

وفي تتريل الشيء مترلة ضده على جهة من الاعتبار، كقوله:
وَشكِيّتي فَقْدُ السّقامِ، لأنهُ   قَدْ كَانَ لّمّا كان لي أعضاءُ[116]

لذلك يقول في هذا: (والذي لا يهتدي إليه إلا بعضهم، منه ما يشترك فيه العربي والمحدث، ومنه ما لا يكاد يوجد إلا في شعر المحدثين. وذلك مثل إسنادهم وإضافتهم ضد الشيء إليه، وكإعمالهم الشيء في مثله، وكإقامتهم الشيء مقام ضده وتتريلهم له مترلة على جهة من الاعتبار، وكان أبو الطيب المتنبي يستعمل هذه الأنحاء الثلاثة في المعاني ويقصدها في مواضع كثيرة من شعره)[117].

وفي إسناد الفعل إلى ما اشتق منه يستشهد بالمتنبي[118]، وفي موضوع تأجيل القوافي وبناء ما قبلها عليها وبنائها على ما قبلها يستشهد بأبيات المتنبي[119]. والكتاب

---

[112] القرطاجني ، **المنهاج**، 164.

[113] نفسه، 161، 160، 159.

[114] نفسه، 367.

[115] نفسه، 368.

[116] نفسه، 368.

[117] نفسه، 368.

[118] نفسه، 369.

[119] نفسه، 279.

حافل بأبيات أخرى كثيرة مختلفة الأغراض ومتناسبة كل التناسب مع توجهات القرطاجني ومنهجه.

أما عن المتنبي من الناحية النفسية الفنية في كتاب المنهاج فقد وجد القرطاجني عند المتنبي أو إبداع المتنبي ما يناسب القرطاجني فيما يتعلق (بالنزعة الشعرية) أو كما سماها هو (المنازع الشعرية) وقصد حازم بهذه النزعة المنهج أو الاتجاه أو الأسلوب والطريقة، حيث قال: (وقد يعني بالمنزع أيضاً مأخذ الشاعر بنية نظمه وصيغة عباراته وما يتخذه أبداً كالقانون في ذلك.كما أخذ أبي الطيب في توطئة صدور الفصول للحكم التي يوقعها في نهاياتها، فإن ذلك كله منزع اختص به أو اختص بالإكثار منه والاعتناء به) [120]. وهذه اللفظة (النزعة) لها اعتبارات فنية تحدثنا عنها في الصفحات السابقة، ولها اعتبارات لغوية في استخدام المتنبي للمصطلحات الثقافية الجديدة في شعره، واعتبارات نفسية، وكأن القرطاجني في هذا التنوير يميل إلى الاتجاه النفسي الواضح في عموم البناء الهيكلي للمنهاج. فهو يحاول توظيف النفس في خدمة الفن والنقد، فكثيراً ما يهتم في الطبع والملكة الشعرية، ويرد ذلك إلى الفطرة أو الموهبة[121]. ويتحدث عن أحوال الشعر من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها[122]. وفي الاعتذار والمعتبات والاستعطاف فملاك الأمر فيها التلطف والإثلاج[123]، وأما في التهاني فيجب فيها المعاني السارة والأوصاف المستطابة، ويحسن في التهاني أن يستفتح الشاعر بقول يدل على غرض

---

[120] نفسه، 366.

[121] نفسه، 199، 201، 202.

[122] نفسه، 336.

[123] نفسه، 352.

التهنئة، فإن موقع ذلك حسن من النفوس[124]. وفي حديثه من المحاكاة فإنه يربطها بالأمور النفسية[125].

وعندما تحدث عن "حسن المطلع" فإن فيه اعتباراً نفسياً محضاً يحسب حساباً كبيراً للمستمعين والمتلقين والقراء[126]، وكذلك الأمر في حديثه عن الاستعداد النفسي الذي حدده بنوعين؛ الأول: استعداد بأن تكون للنفس حال وهوى قد تهيأت بهما لأن يحركها قول ما بحسب شدة موافقته لتلك الحال والهوى كما قال المتنبي:

إنما تنفعُ المقالةُ في المر ءِ، إذا وافقتْ هوىً في الفؤادِ

أما الثاني: أن تكون النفوس معتدة في الشعر أنه حكم وأنه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما أسلبها من هزة الارتياح لحسن المحاكاة[127].

وفي منحى الأساليب وما يقصد حسن موقعها من النفوس يقول: (والأحوال الشاجية: منها أحوال أعقبت فيها الوحشة من الأنس والكدر من الصفاء، نحو أعقاب التنعم بالحبيب بالتألم لفراقه. وأعقاب التنعم بالشبيبة بالتألم لفراقه؛ ومنها أحوال كان الجور فيها وضع موضع العدل والإساءة موضع الإحسان، فهي شاجية أيضاً. ومن هذا تشكي جور الزمان وخون الإخوان وجري الأمور على غير ما يلائم ذا الفضل. وكثيراً ما كان أبو الطيب المتنبي يقصد هذا الضرب. فكان ذلك مما حسن موقعه من النفوس) [128].

وبالجملة الكتاب مليء بالملامح والاتجاهات النفسية، وطالما أن المتنبي شاعر النفس الإنسانية التي تنسجم مع القرطاجني في اتجاهاته، فلعله يفسر الكثير من إعجاب

---

[124] نفسه، 353.

[125] نفسه، 107.

[126] يوسف بكار، **بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم**،(دار الأندلس،عمان، ط1، 1983)، 269.

[127] نفسه، 121 – 122.

[128] نفسه، 358.

حازم بشعر المتنبي واتخاذه المثل الأعلى في الشعر، وإحالته عليه في كثير من المواضع المستجادة[129].

وعليه فإن الناظر إلى كتاب المنهاج يجد أن المؤلف قد نظر إلى المتنبي على أنه الشاعر المميز، والبليغ والجديد القديم، والمبدع، والإنسان فارتكز عليه من الناحية النقدية الفنية الجديدة، ومن الناحية النفسية الجديدة، فكان دور حازم في كتابه المنهاج ناقداً ومبدعاً أيضاً يقدر قيمة الأعمال الفنية الخالدة فيثبتها وفقاً لمقتضى الحال الذي هو بصدده، حيث كان يجد أبيات المتنبي المتميزة والمتمثلة للمحاكاة، والتخييل، وأسلوب الإقناع والخطاب، والنزعة الشعرية القائمة على مبدأ الارتياح والاكتراث الذي هو الأساس في أمهات الطرق الشعرية وللأمثال والحكم المربوطة بقيم ودوافع نفسية لها أثرها في المتلقي مسعفة ومتمثلة لآرائه واتجاهاته، فقد استشهد حازم بأبيات كثيرة للمتنبي في كتابه لأنه القدوة عنده ، فقد كان القرطاجني معجباً به وبشعره فقد قال: (جاء أبو الطيب فصار كلامه منتمياً إلى الطراز الأعلى) [130]، وقال أيضاً: (هذا أبو الطيب المتنبي، وهو إمام في الشعر) [131].

ويمكن من خلال ما سبق استنتاج النتائج والملاحظات الآتية:

أولاً: حقق المتنبي للقرطاجني كثيراً من القضايا التي تناولها في كتابه ومنها:

1- قضية الخيال في النظم.

2- قضية النزعة الشعرية (الاتجاه أو الطريقة).

---

[129] نفسه، 49، 57، 88، 102، 110، 121، 135، 136، 159، 160، 161، 164، 219، 223، 279، 284، 285، 289، 293، 298، 301، 307، 308، 311، 313، 358، 360، 363، 366، 367، 368، 384.

[130] نفسه، 301.

[131] نفسه، 88.

3- قضية الاكتراث والارتياح (التي يقوم عليها قول الشعر بأغراضه).

4- قضية التسويم والتحجيل (مقدمة الأبيات – الصياغة الحكمية الفلسفية).

5- قضية الشاعر القديم المحدث بأسلوبه وثقافته.

6- قضية الإبداع في الجمع بين الأسلوب الشعري القائم على التخييل والأسلوب الخطابي القائم على الإقناع.

ثانياً: المتنبي عند القرطاجني الناقد:

1- لم ينتقد حازم المتنبي في كتابه إلا في موضعين[132]، ولعل ذلك عائد لطبيعة الكتاب وهدف الكاتب.

2- تناول حازم المتنبي من الناحية النظرية النقدية دون أن يعوّل على أشعاره في بعض الأحيان، ومثال ذلك عند حديثه عن التحجيل، وحديثه عن مذهب المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية.

3- عامل حازم الناقد المتنبي الشاعر معاملة فنية، فلم يكشف لنا في استشهاداته الشعرية عن أي أمر من أمور حياته الخاصة، علماً بأن كتابه المنهاج يميل في معظمه إلى المنهج النفسي، فكان بوسع حازم أن يربط بين النظرية والتطبيق؛ وربما يعود ذلك لطبيعة الكتاب. لذلك يقول في الفصل الأخير من كتابه معلناً عن خطته في تأليف الكتاب (قد تكلمنا عن هذه الصناعة "الصناعة الشعرية" في جملة مقنعة وبقيت أشياء لا يمكن تتبعها لكثرة تشعبها وتعذر استقصائها)[133].

وبعد الحديث عن نظرة كل من الثعالبي والقرطاجني للمتنبي يمكن أن نعقد موازنة بين الدراستين أو النظريتين على النحو الآتي:

أولاً:

---

[132] نفسه، 151، 384.

[133] نفسه، 379.

1- دراسة القرطاجني للمتنبي دراسة حديثة، تدخلت فيها ثقافة الكاتب المتنوعة وطبيعة الكتاب الفنية النقدية، فكانت دراسة النص الشعري من الناحية الفنية الجديدة التي تتناسب ومنهج الكاتب في كتابه هي المحور والهدف.

2- دراسة الثعالبي للمتنبي دراسة قديمة في منهجها، ويعود ذلك لطبيعة الكتاب الذي يندرج تحت كتب السير والتراجم، رغم دراسة الكاتب للنص الشعري وربطه في حياة الشاعر أيضاً.

ثانياً:

1- القرطاجني متمرس في الأصول الفنية والنقدية، فاكتفى بعرضها و لم ينقد المتنبي إلا في موضعين.

2- الثعالبي كانت له بعض الآراء النقدية الجيدة، وانتقد المتنبي بكل موضوعية، وذلك واضح بين ثنايا الباب.

ثالثاً:

1- القرطاجني استشهد بأشعار المتنبي بعد أن التقطها وسخرها لخدمة هدفه، فقد كانت قائمة على الاختيار، والاختيار الدقيق، وليس في معظم القضايا الفنية فلم يستشهد ببيت واحد على حكم المتنبي، فبقيت دراسته في مجال التحجيل دراسة نظرية.

2- الثعالبي جمع أشعار المتنبي إلى حد كبير، وأوردها في أماكنها المناسبة من تقسيمات الباب، واستشهد بأكثر من مائة بيت من الشعر في حكم المتنبي وأمثله.

رابعاً:

1- القرطاجني نظر إلى المتنبي الشاعر القديم المحدث والمبدع.

2- الثعالبي نظر إلى المتنبي الشاعر المجرب الفنان والإنسان.

وقد قدمت هذه الموازنة بين الناقدين في البحث خدمة جديدة له، و ذلك لمعرفة كيفية تأثر كلا الناقدين بالمتنبي ، وأثره في تأليف كتابيهما .